مجلة الدراسات الفقهية والقضائية • مجلد: 05، عدد: 02 (2019م) • ص ص29 – 36
EISSN 2588-2481 - ISSN 2477-9806

جهود علماء الجزائر في التأليف الفقهي والأصولي الشيخ محمد باي بلعالم أنموذجا

The efforts of Algerian scholars in jurisprudential and Science of Jurisprudence principles authorship - Sheikh Mohamed Bey Bel Alem as a model

بقلم

أ. د. محمد دباغ*

جامعة أدرار ـ الجزائر

debagh@hotmail.com

ملخص

يهدف هذا المقال إلى التعريف بأحد العلماء الجزائريين المعاصرين، الذين كان لهم نشاط كبير في التصنيف الفقهي وفق أصول المذهب المالكي، ألا وهو الشيخ محمد باي بلعالم، وبيان منهجه الفقهي الاجتهادي، مع تقديم قراءة في مؤلفاته الفقهية والأصولية.

الكلمات المفتاحية: التأليف؛ الفقه؛ محمد بلعالم؛ أصول الفقه؛ الجزائر.

Abstract

This article aims to introduce one of the contemporary Algerian scholars, who had a great activity in jurisprudential authorship according to the principles of the Maliki school of thought, with providing a definition of his jurisprudential approach, along with providing a reading in his jurisprudential and fundamentalist writings. He is Sheikh Mohamed Bey Bel Alem.

Keywords: Authorship, Fiqh, Mohamed Bey Bel Alem, Science of Jurisprudence principles, Algeria.

* المؤلف المراسل.

مقدمة

يعد الشيخ محمد باي بلعالم من أهم فقهاء المالكية بالجنوب الجزائري، حيث إنه أسهم في كثير من العلوم الشرعية إسهاما واضحا من خلال التأليف والتدريس والإفتاء، وكان له أثر واضح في تحديث مناهج الخطاب الديني نظرا لاطلاعه على مختلف المناهج الحديثة، يضاف إلى ذلك كثرة رحلاته العلمية وقوة استيعابه. وسوف نركّز في هذا البحث على المحاور الآتية:

- التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم.
- منهجه الفقهي الاجتهادي.
- قراءة في مؤلفاته الفقهية والأصولية.

أولا : التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم

هو محمد باي بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي، يرجع نسبه إلى قبيلة فلان المعروفة بالعلم [1]، حيث أنجبت عدة جهابذة في مجال التدريس والقضاء والإفتاء، وكان والد المترجم له السيد محمد عبد القادر من أهم هؤلاء الأعلام، من مؤلفاته: «تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان»، ومنظومة «أهل الوقت» التي حارب فيها البدع والخرافات.[2]

ولد الشيخ محمد باي بقرية ساهل باقبلي دائرة أولف ولاية أدرار سنة 1930م، يقول عن نفسه في «نظم الكوكب الزهري»:[3]

باي بها عرف وابن العالم لقبه في دفتر المحاكم

درس القرآن ومبادئ الفقه باقبلي، ثم انتقل إلى المدرسة الطاهرية بسالي، وبعد تخرّجه منها تولى التدريس بمدينه أولف التي بها مدرسته المشهورة. ولم يقتصر نشاطه على مقرّ إقامته بل كانت له مشاركات وأنشطة في مختلف المدارس والمراكز العلمية في كافة أنحاء الوطن[4].

ألف تصانيف ومؤلفات في فنون مختلفة منها :

1- ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم.

2- المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب القرآني.

3- كشف الدثار على تحفة الآثار.

4- فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك.

5- الكوكب الزهري نظم على مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري.

6- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول.

7- اللؤلؤ المنظوم على نثر بن آجروم.

وهكذا حرصنا على أن نذكر نماذج من مؤلفاته في فنون متنوعة كعلوم القرآن والحديث والفقه والنحو.

توفي رحمه الله يوم السبت 22 ربيع الثاني 1430هـ الموافق لـ 18 أبريل 2009م.[5]

ثانيا : المنهج الفقهي الاجتهادي عند الشيخ بلعالم:

1- المؤهلات العلمية الاجتهادية عند الشيخ:[6]

أ- الشخصية العلمية المتكاملة.

ب- التمكن من فنون مختلفة: لغة ـ تفسير ـ حديث ـ فقه.

ج- رسوخ الملكة الفقهية، بسبب حدة الذكاء، وقوة الذاكرة، ودوام المدارسة .

2- المميزات العامة لاجتهادات الشيخ:[7]

أ- حسن تصوير المسألة وتكييفها.

ب- مراعاة مستوى السائل عند الإفتاء.

ت- الحرص على التزام التيسير المنضبط، حيث كان يلتزم مشهور المذهب مع مراعاة ما تقتضيه النازلة وما تتضمنه من ملابسات.

ث- تعليل الأحكام : ومن ذلك تعليقه على إحدى العوائد التي يقوم بها الناس

في الجنائز، حيث يضعون جريدة من النخل على القبر؛ فوجه هذا الحكم بتوجيهين أحدهما: الحمل على الخصوصية، أي: أنه خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وثانيهما: الحمل على عموم المشروعية لا على سبيل الالتزام.

ثالثا ـ : قراءة في بعض مؤلفاته الفقهية والأصولية .

أ- تقديم الشيخ لبعض مؤلفاته:

كان الشيخ محمد باي رحمه الله من أهم العلماء الذين أثروا المكتبة الفقهية المالكية بالشروح والمنظومات، وقد قال عن خدمته للمذهب المالكي في آخر محاضرة له في حياته :"لمحة نذكر فيها خدمتنا للمذهب المالكي" : قال: "وقد كان العبد الضعيف محمد باي بلعالم قام بفضل الله وعونه بخدمة هذا المذهب العظيم الذي أحببناه وتعلقنا به منذ نعومة أظفارنا إلى الآن جريا على عادة أسلافنا رحمهم الله، لأن مذهب الإمام مالك هو مذهب المغرب العربي كله وكثير من الدول الإفريقية، فقمنا بتأليف في المذهب المالكي خدمة للعلم وتيسيرا على طلابه."[8]

ثم قام رحمه الله بوصف أغلب كتبه الفقهية، وسنذكر وصف كتابين منها ونحيل القارئ الكريم على المحاضرة المذكورة.[9]

1-زاد السالك شرح على أسهل المسالك " يشتمل على جزأين، موضوعه التوحيد، فقه العبادات، المعاملات، الفرائض، الأخلاق. ويشتمل على 310 صفحة وعلى 27 بابا وفصلا. وأما الجزء الثاني يشتمل 285 صفحة، وكان تأليفه سنة 1406 هـ، وأعيد طبعه في مطبعة دار ابن حزم بيروت لبنان."

والشيخ بتأليفه لهذا الكتاب أسهم في نشر تدريس أصله الذي هو أسهل المسالك لمحمد البشار حيث سأل مؤلف الأصل الله أن ينشر كتابه حيث قال:[10]

انشره واجعل درسه لن يتركا وانفع به وصفه لوجهكا.

وهو مشهور في الزوايا والمدارس القرآنية خاصة بمناطق الجنوب الجزائري.

2- الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري نظم وشرح العبد الكاتب الضعيف محمد باي الفلاني، وأصل النثر للشيخ عبد الرحمن بن صغير

الأخضري وموضوعاته الأخلاق، العبادات، وعدد الأبواب والفصول 20 وعدد الصفحات 122 ثم صفحة للفهرسة، وطبع على مطابع عمار قرفي (الشهاب) [11] وكان الفراغ من تأليفه يوم 13 رجب 141هـ، وأعيد طبعه في مطبعة دار هومة بالجزائر.

وتتميز العبادات بأنها أكثر الأحكام التي تمس الحياة اليومية والمتجددة لكل إنسان، ولذلك اهتم الفقهاء بتفاصيلها وجزئياتها كما هو معلوم.

ب- نماذج نصية من مؤلفاته الفقهية والأصولية:

- كتاب زاد السالك:

جاء في الأصل (أسهل المسالك):

وكره ما استعمل في رفع الحدث كما قليل لم يغيره الخبث

قال الشيخ محمد باي بلعالم في شرحه زاد السالك:

يعني أن الماء الذي قد استعمل في حدث واجتمع في إناء أو تقاطر من البدن أو أدخل المتوضئ أعضاءه فيه ودلكهما أو المغتسل وتدلك فيه بنية رفع الحدث وبقي على حاله من غير أن يتغير وصفه أو ريحه أو طعمه؛ فإن حكم هذا الماء الكراهة أشار في الفتوحات بقوله عللت كراهة الاستعمال بعلل ست أولها لأنه أديت به عبادة، ثانيها لأنه رفع به مانع، ثالثها لأنه ماء ذنوب، رابعها للخلاف في طهوريته، خامسها لعدم أمن الأوساخ، سادسها لعدم عمل السلف.

ويلاحظ في شرح الشيخ للبيت :

1- بيان المعنى وتصوير المسألة، حيث بين حقيقة الماء المستعمل لئلا يفهم أنه بقية الماء في الإناء وهو ما يعرف بالسؤر.

2- بيان علل الكراهة.

3- الاستدلال بنصوص السنة في شرح الجزء الثاني من البيت المتضمن حكم الماء اليسير الذي حلت فيه نجاسة ولم تغيره. [12]

- من الكوكب الزهري وشرحه:

والأمر بالمعروف وصف المؤمنين كالنهي عن نكر أتى به المبين

قال الشيخ: "والأمر بالمعروف " والمراد بالمعروف هو كل ما أمر الله ورسوله به، والمنكر هو كل ما نهى الله ورسوله عنه، فيجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر (وصف المؤمنين)، أي: وصف الله المؤمنين بذلك، وهذا معنى كالنهي عن نكر أتى به المبين قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾.[13]

ويلاحظ في شرح البيت:[14]

1- بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي.

2- دعم المعنى بالنص القرآني المبين للمعنى والحكم .

3- بيان أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم خصائص الأمة ومميزاتها.

4- إحاطة المسألة بضوابطها وشروطها لتوقف بيان الحكم على ذلك.[15]

- من كتاب ركائز الوصول، جاء باب الأمر[16]

وحده استدعاء فعل واجب بالقول ممن كان دون الطالب

بصيغة افعل فالوجوب حققا حيث القرينة انتفت وأطلقا

قال الشارح: "استدعاء فعل" يخرج به النهي، لأنه استدعاء الترك، وقوله: "بالقول" يخرج به الطلب بالإشارة والكتابة والقرائن المفهمة، وقوله: "ممن كان دونه الطالب" يخرج به الطلب من المساوي والأعلى .

ويلاحظ في الشرح دقة الشيخ وتركيزه في بيان الحدود وما يترتب عن الألفاظ من معان .

كما تميز شرحه لمنظومة العمريطي في الأصول من خلال الكتاب المذكور[17].

1- حصر أوجه القاعدة الأصولية، كبيان صيغ الأمر.

2- بيان الرأي المختار في القضايا الخلافية كإفادة الأمر التكرار والفورية.

3- التمثيل مع الشرح والتوجيه.

الخاتمة :

امتاز الشيخ باي بلعالم بسعة الاطلاع العلمي في علوم الشريعة وغيرها، وذلك ما ساعده على التأليف في أغلب هذه العلوم.

وكان لدروسه وفتاواه مميزات خاصة أهمها الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

وتعد جهوده في مجال التأليف جهودا مهمة أسهمت في إثراء المكتبة الفقهية الإسلامية عموما والمالكية منها خصوصا. ومن خلال الاطلاع على مناهجه التدريسية والتأليفية نخلص النتائج الآتية:

1-ضرورة الاهتمام بآثار الشيخ باي إخراجا ودراسة وتحقيقا وتهذيبا.

2- الاستفادة من منهجه العام في ترشيد الخطاب الديني عموما.

3-الاستفادة من فتاويه ونوازله في إثراء البحوث العلمية المهتمة بالنوازل.

4-الاهتمام بجهود مختلف علماء الأمة وتراثهم ومناهج التعليم والإفتاء عندهم.

ـ الهوامش:

1) محمد باي بلعالم قبيلة فلان ص 2 وما بعدها.

2) كان والد الشيخ من أشهر المصلحين والمجددين بالمنطقة.

3) الإشراق البدري ص03.

4) حيث توفي رحمه الله إثر عودته من ملتقى وطني بعين الدفلى.

5) أحمد الطالب بن مالك: محاضرة حول حياة الشيخ ص23.

6) محمد دباغ، محاضرة مقدمة لملتقى الاجتهاد في المذهب المالكي عين الدفلى2011.

7) م ن.

8) أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي عين الدفلى 2009 ص37.

9) م ن: 37 وما بعدها.

10) أسهل المسالك /:05.

11) زاد السالك :61/1.

12) م ن 61/1.

13) التوبة :71.

14) الإشراف البدري 16.

15) م ن :17.

16) ركائز الوصول 21.

17) م ن : 22 وما بعدها.